

محور الإنسان

درس الميل

موضوع عن النظرية التجريبية

عالج الموضوع التالي: " الميل خلاصة تجاربنا في هذا العالم."

- أ- إشرح(ي) هذا الحكم وبيّن(ي) الإشكالية التي يطرحها. (تسع علامات)
- ب- ناقش(ي) هذا القول في ضوء نظريّات مخالفة تناولت مسألة الميل. (سبع علامات)
- ج- هل تعتقد(ين) أنّ تنمية الميول شرطٌ للإبداع؟ علّل(ي) إجابتك. (أربع علامات)

المعالجة:

أ- مقدّمة:

شكّلت الميول موضوع بحث في غير علم ومجال معرفي من قبيل الفلسفة، الفيزيولوجيا وعلم النفس. والحقّ أنّ الإنسان كائن تحرّكه مجموعة من الحاجات والدوافع والرغبات، وبالتالي فإنّ سلوكه ليس عفويّاً بل هو مسير من هذه القوى التي توجّهه نحو غاياتها. هكذا يصبح في كل نشاط يقوم به الإنسان، قوّة كامنة وخفيّة لا تعي ذاتها، نسمّيها ميلاً، وهو أصلٌ لكلّ ما عداه، ويُعرّف بأنه توجّه هادف لاواع.

تمتاز الميول بالبساطة والعمومية وهي المبدأ لكل تصرّفات الكائنات الحيّة، وتعدّ أصلاً ومنطلقاً لسائر ما عداها، وتظهر الميول على شكل حاجات ورغبات ودوافع. أمّا الحاجة فهي نقصٌ يطلب إشباعاً مثل الحاجة للمأكّل والمشرب والجنس. تفرق الرغبة عن الحاجة بأنّها ميل واع لذاته حسب "سبينوزا"، الرغبة إذن تعبير واعٍ وشخصي لميل معيّن وترتبط دائماً بموضوع محدّد. ليس الدافع بالواقع الحسّي بل هو تكوين افتراضي يظهر من خلال السلوك الظاهر، فالدافع يُنشّط السلوك ويأخذ به نحو هدفه المعيّن. يختلف الفلاسفة والعلماء في مصدر الميل وطبيعته وبعض شؤونه، وقد قدّموا آراء مختلفة حد التعارض. ويطرح هذا القول الحكم رأي المذهب التجريبي في مسألة طبيعة الميل.

أما الإشكالية المطروحة فهي:

الإشكالية العامة: ما هي طبيعة الميول؟

الإشكالية الخاصة: هل تولد الميول نتيجة الإحساس باللذة، أم أنّها تظهر بالسلوك والحركات؟

الشرح:

يعتبر المذهب التجريبي أن الفرد يكتسب معارفه من العالم الخارجي بواسطة حواسه التي تمثل أداة معرفته ووسيلة اتصاله بالعالم. إذ يولد الإنسان برأيهم صفحة خالية من المعارف والإمكانات النفسية والعاطفية وسواها، ومن خلال التجارب الحسية تمتلئ هذه الصفحة بالخبرات.

تعتمد الفلسفة التجريبية على أولية التجربة، فتجعلها مبدأً تأسيسياً للعمليات النفسية، وعليه فإن الميول ليست فطرية ولا موروثية بل هي ثمرة تجارب حسية واختبارات عملية، يمرّ بها الكائن في مسار حياته المادية واليومية. يعتبر "كوندياك" وهو أحد فلاسفة هذا المذهب أن المعرفة ترتبط بالحس ولا دور للعقل فيها، وإنّ كل ميولنا تعود في الأصل لما مرّ على حواسنا، أمّا ما يُسمّى بالعقل فهو نتاج لتلك الإحساسات التي تردنا من الخارج، وفق الرأي القائل: "لا يوجد شيء في الذهن إلّا وقد مرّ من قبل في الحواس". يتقرّر إذن أن الفرد الذي يُحرم من حواسه فإنه يبقى كما وُلد، وبالتالي فهو عاجز عن اكتساب الميول.

إنطلاقاً من كل ما سبق، يؤكّد "كوندياك" أنّ الإحساس هو المبدأ الذي يحدّد ويولّد مختلف القوى الروحانية والعاطفية، فيكون الذهن أشبه بتمثال لا حياة فيه، يتلقّى الأحاسيس من العالم الخارجي، ولا يقصد الفيلسوف أي أحاسيس بالمطلق بل إحساساً محدّداً بعينه هو الإحساس باللذة، فاللذة هي قلب الميول النابض، وبها يمايز الفرد بين إحساساته فيميل لموضوع وينفر من آخر إذا أحسّ من جرّاء ذلك بالألم أو النفور. إنّ كلّ تجربة لا تولّد لذة، فإنها قطعاً لا تولّد ميلاً، اللذة هي المحرّك لتكرار التجربة، فالكائن يرغب دوماً بتكرار التجارب اللذيذة، ومع التكرار المستمرّ، ترسخ هذه الرغبة في الذهن لتصير ميلاً. ويمكن توضيحاً لما سلف أن نضرب المثال التالي: ليس في الذهن أي معرفة أو ميل للروائح الطيبة، ولكن ما إن يحدث أن يمرّ الإنسان بجانب الزهور فيشمّ عبيرها، يحسّ حينها باللذة، هذا الإحساس يولّد رغبة بتكرار التجربة لاختبار الشعور اللذيذ المرة تلو الأخرى، ليرسخ بعد فترة من الزمن ويصير ميلاً إلى الروائح الطيبة.

ب- المناقشة:

ولكن على الرغم من أهمية هذا الرأي وقوة أدلته إلا أنه لم يخلُ من الثغرات ما سمح بانتقاده، ومن هذه الانتقادات:

1- إنّ تجربة اللذة لا تخلق الميل بل تحرّكه فيبرز إلى حيّز الوعي ويتحدّد ويصير رغبة في رائحة معينة، إنّ الميول سابقة على الأحاسيس والإنفعالات وهي مقياس الحكم عليها، فاللذة الناتجة عن الإحساس برائحة الورد يفترض وجود ميل إلى الروائح الطيبة.

2- وقعت النظرية التجريبية في الكثير من الصعوبات بسبب اعتبارها الحواس مصدرًا وحيدًا للمعرفة تتأسس عليها كل ملكات الفرد وإمكاناته النفسية، الفكرية والعاطفية، ما دعا العديد من الفلاسفة وعلماء النفس إلى الاعتراض عليها ورفضها.

وللمدرسة السلوكية رأي في هذه المسألة، وتعدّ المدرسة السلوكية واحدة من المدارس المعتمدة في علم النفس الحديث، وقد هدفت للنهوض بعلم النفس إلى مستوى العلوم الطبيعية من حيث الدقّة والواقعية، ولأجل

ذلك عمدت إلى إهمال الجوانب التي لا يمكن ملاحظتها بالحواس، وحصرت دراستها في سلوك الكائن وتصرفاته باعتبارها المدخل لدراسة الحالات النفسية وتشخيصها.

ركّز السلوكيون على دراسة الميول بوصفها حركات وسلوك خارجيين، مستبعدين دراستها بوصفها قوى كامنة فينا. في هذا السياق، إعتبر عالم النفس السلوكي الفرنسي "ريبو" أنّ ما يظهر من يظهر من الميول هو مجرد حركات، وبالتالي فقد عرّف الميول بأنها "حركة أو توقّف لحركة لحركة قائمة". الميل عند ريبو ليس شيئاً غامضاً بل هو "حركة حاصلة أو حركة في حالة تولّد"، وذلك ما تظهره ردات الفعل العضوية عند الكائن التي تظهر على ملامح وجهه أو أطراف جسده، فالحيوان المفترس الذي يمزّق فريسته بأنياحه ينفذ ميلاً. والميل أيضاً هو حالة وتوتّب وتهيؤ للحركة قبل حصولها بالفعل، فالعامل الذي يستعد لتلقّي أجر عمله في اليوم المحدّد، يكون مستعدّاً نشيطاً في ذلك اليوم منذ بدايته، والحيوان الذي يتربّص بفريسة يرسم حركة الهجوم بجسده قبل التنفيذ. وما يمكن ملاحظته في الواقع هو كمية الحركة التي تختلف حسب أطوار إشباع الميل، فكّلما تم إشباع الميل، كلّما تناقصت كمية الحركة، حتى يصل الميل لتمام إشباعه فتنتهي الحركة بالكامل.

ومما تنفرد به المدرسة السلوكية عن سواها من الإتجاهات في مسألة الميل، هو اعتبارها أن مجموع الحركات المتكرّرة التي تشكّل عادة من العادات يمكن أن تتحوّل إلى ميل، فالمحاولات الأولى الفاشلة في التدخين، تنقلب مع التكرار ميلاً إلى الموضوع، وهذا ما يعني ولادة ميول حاجات جديدة.

توليفة: نهاية الكلام، أفلحت كل نظرية في عرض جانب للميل، دون أن تحيط بتمام المسألة. ويمكن القول، إنّ الميول هي إمكانات وقوى أساسية وعامة ترتد إليها كلّ أفعالنا ومشاعرنا وأفكارنا وإنها أصيلة لا يمكن أن تكون موضع إكتساب، وإن كانت قابلة للمرونة والتحول وتكتسب بالتجربة وسائل وقدرات على الفعل. وقد تعمل أحيانا من وراء حجاب اللاوعي كما علمنا التحليل النفسي، فتظهر بأشكال مختلفة، بعضها سوي وبعضها مرضي.

ج- هل تعتقد(ين) أنّ تنمية الميول شرط للإبداع؟ علّل(ي) إجابتك. (أربع علامات)

عناصر الإجابة:

1- تمهيد

2- الموقف الشخصي

3- التعليقات والتبريرات

الإجابة:

تمهيد: يُعتبر الإبداع سمة بارزة عند قلة من الأفراد، في مجالات مختلفة، إنّها سمة التميّز في العمل والإنتاج في مكانه، فنجد المبدع فنّاناً أو عالماً أو كاتباً أو رياضياً

مثال عن الموقف الشخص: وإني أعتقد أن الإبداع هو نتيجة أكيدة لتنمية الميول، فليس الإبداع سوى بروز هذه الميول بشكلها الأفضل والأنجح

مثال على التعليل:

الإبداع وليد شغف ومحبة ولا يُعقل أن يبدع المرء في ميدان لا ميل له به، إن الإنسان يتعب من اداء عمل لا ميل قلبي له نحوه، فكيف له أن يبدع فيه؟! (تعليل أول)

الميل صفة فردية تحتاج إلى تهذيب وتشذيب وتربية وإدارة حتى نصل بها إلى الإبداع (تعليل ثان)

يمكن قياس مسألة الميل على عضلات الجسم، فهذه العضلات تكون خاملة وبلا قوة ومخفية في الجسم، حتى يبدأ الفرد بتمرينها، ومع التمرين المستمر يظهر شكلها الأتم، وتبان قوتها ويصبح للإنسان قدرة لم يكن يعهدها. كذلك الميول، فإنها تحتاج إلى تمرين مستمر وتدريب وتجلية حتى تظهر بأبهى صورها. فحتى بعض المبدعين، ظهر إبداعهم بعد فترة من الجهد والعمل والنشاط والعكوف على صقل مهاراتهم وميولهم. (مثال)

الإجابة النهائية:

يُعتبر الإبداع سمة بارزة عند قلة من الأفراد، في مجالات مختلفة، إنها سمة التميز في العمل والإنتاج في مكانه، فنجد المبدع فناناً أو عالماً أو كاتباً أو رياضياً

وإني أعتقد أن الإبداع هو نتيجة أكيدة لتنمية الميول، فليس الإبداع سوى بروز هذه الميول بشكلها الأفضل والأنجح. ذلك أن الإبداع وليد شغف ومحبة ولا يُعقل أن يبدع المرء في ميدان لا ميل له به، إن الإنسان يتعب من اداء عمل لا ميل قلبي له نحوه، فكيف له أن يبدع فيه؟! بالإضافة إلى ذلك، فإن الميل صفة فردية تحتاج إلى تهذيب وتشذيب وتربية وإدارة حتى نصل بها إلى الإبداع، يمكن قياس مسألة الميل على عضلات الجسم، فهذه العضلات تكون خاملة وبلا قوة ومخفية في الجسم، حتى يبدأ الفرد بتمرينها، ومع التمرين المستمر يظهر شكلها الأتم، وتبان قوتها ويصبح للإنسان قدرة لم يكن يعهدها. كذلك الميول، فإنها تحتاج إلى تمرين مستمر وتدريب وتجلية حتى تظهر بأبهى صورها. فحتى بعض المبدعين، ظهر إبداعهم بعد فترة من الجهد والعمل والنشاط والعكوف على صقل مهاراتهم وميولهم.